

التبيان في تفسير القرآن

(261) من معجزاته (صلى الله عليه وآله) لانه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا بوحي من الله تعالى، فسار رسول الله في العقبة وحده وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكانوا اثني عشر رجلاً أو خمسة عشر رجلاً على الخلاف فيه. وعرفهم واحداً واحداً عمار بن ياسر وحذيفة، وكان أحدهما يقود ناقة رسول الله والآخر يسوقها، والحديث مشروح في كتاب الواقدي. وقال أبو جعفر (عليه السلام) كانوا ثمانية من قريش وأربعة من العرب وقوله " وهموا بما لم ينالوا " قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدهما - قال مجاهد: هم المنافقون بما لم يبلغوه من التنفير برسول الله. الثاني - قال قتادة: هموا بما ذكر في قوله " ليخرجن الأعز منها الأذل " فلم يبلغوا ذلك. والثالث - عن مجاهد أنهم هموا بقتل من أنكر عليهم ذلك. وقال بعضهم: كان المنافقون قالوا: لو رجعنا وضعنا التاج على رأس عبد الله ابن أبي، فلما أوقفوا على ذلك حلفوا بأنهم ما قالوا ذلك ولا هموا به، فأخبر الله تعالى عن حالهم أنهم يحلفون بالله ما قالوا، ثم أقسم تعالى بأنهم قالوا ذلك، لأنهم لا قد لأم القسم وأنهم قالوا كلمة الكفر، وهي كل كلمة فيها جحد لنعم الله أو بلغت منزلتها في العظم، وكانوا يطعنون في الإسلام والنبوة، وأخبر أنهم هموا بما لم يبلغوه. والهم مقارنة الفعل بتغليب في النفس تقول: هم بالشئ يهمهم، ومنه قوله " ولقد همت به وهم بها لولا رأي " (1) وليس الهم من العزم في شئ إلا أن يبلغ نهاية العزم في النفس. والنيل لحوق الأمر. ومنه قوله (نال السيف ونال ما اشتهى أو قدر أو تمنى) فهؤلاء قدروا في أنفسهم من كيد الإسلام ما لم يبلغوه. وقوله " وما نقوموا إلا أن اغناهم " ورسوله من فضله " يعني ما فتح الله عليهم من الفتوح وأخذ الغنائم واستغنوا بعد أن كانوا محتاجين وقيل في معناه قولان: أحدهما - أنهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر الغنى أن نقوموا _____ (1) سورة 12 يوسف آية 24. (*)